اثبات الروح بالمباحث النفسية

٢

(الاسلوب التجريبي الذي اتبعهُ العلماء في اثباتها)

الوساطة

طبعت الفلسفة الاوربية في القرن التاسع عشر بطابع الاسلوب الحسي فلفظت جميع المدركات العقلية الى عالم الفروض ولم تقبل في العلم الاَّ ما ايدتهُ التجربة او دلت عليهِ الحواس فكان على المتصدين للبحث عن الروح ان يجدوها بدليل محسوس . وكيف يتسنى ذلك بغير جعل الانسان ذاتهِ موضوع النظر والبحث لرؤية آثارها فيهِ ؟ أيصح لمن يريد أن يعرف ما اذا كان في اناء ماء ان يتركهُ جانباً ويأخذ في بناء القضايا المنطقية للاهتداء الى ما حواهُ ام ينظر فيهِ نفسهِ ليتحقق من وجود او عدم وجود شيء فيهِ ؟

لهذا احتاج الباحثون العصريون في الانسان الى الوسيط . فيحتاج اليهِ في التنويم المغناطيسي لتنويمهِ ورؤية ما يظهر فيهِ من القوى الكامنة والخصائص المستكنة . ويحتاج اليهِ في المباحث النفسية لما ثبت علمياً منذ سبعين سنة وبشهادة الوف من العلماء انهُ تحدث بحضرة شخص ذي استعداد خاص اذا اتجهت ارادة المجربين معهُ الى الاتصال بالعالم الروحاني حوادث روحية غاية في الغرابة يمكن للعلم ان يبحثها على اسلوبهِ التجريبي فيضيف الى ما عرفهُ من احوال المعنى الانساني معارف جليلة لا تقبل النقض يتجلى من خلالها وجود الروح واستقلالها عن الجسد وقيامها بدونهِ وتعلقها بعالم روحاني وراء هذا العالم المادي

فالوسيط في المباحث النفسية يستخدم كآلة للبحث او كوسيلة لظهور الحوادث الروحية . وليس امر الوساطة ببدع فانها ضرورية حتى في الحوادث الطبيعية نفسها . فلا يمكن مثلاً احداث شرارة من جسم مكهرب بكهربائية موجبة الاَّ بتقريب جسم آخر منهُ مكهرب بكهربائية سالبة . ولا يمكن احداث تفاعل بين عناصر جسم الاَّ بتسليط عامل آخر عليهِ كالحرارة او النور او الكهربائية او جسم آخر لهُ خاصة احداث التفاعل بينها . كذلك لا يمكن ايجاد الصلة بيننا وبين الاحياء المجردة عن المادة الاَّ بوجود وسيط تكون لهُ خاصة في ايجاد تلك الصلة

وقد شوهد ان خاصة الوساطة ليست بقاصرة على احد الجنسين ولا على المصابين بامراض عصبية ولا على ذوي اسنان معينة او معارف محددة

فمن الوسطاء رجال ونساء ومنهم المصابون بامراض عصبية والاصحاء الذين هم في اكمل حالات القوة . ومنهم الطاعنون في السن والاطفال الذين لم يجاوز عمرهم تسعة ايام كما شوهد ذلك لبنت اللورد سيمور كيركوب فانها امسكت القلم بيدها وكتبت به رسالة عن لسان جدتها المتوفاة امام والدها ووالدتها ومربيتها . ومنهم الجاهلون الاميون والعلماء الاعلام

ثم ان الوسطاء يختلفون في الخصائص فمنهم وسطاء يرون باعينهم من العالم الروحاني ما لا يراهُ غيرهم فيصفون ما يرونهُ للمجربين ويعينون لهم موضعهُ فيسلطون آلة التصوير على ذلك الموضع فترتسم عليها عين الصورة التي اخبر عنها الوسيط . والآلة خير شاهد على ان المرئي ليس بخيال

ومنهم وسطاء يسمعون ما لا يسمعهُ سواهم من اصوات الارواح فيلقون الى المجربين ما يسمعونهُ من الاجوبة على اسئلتهم مما لا يعرفهُ الوسيط ولا يخطر ببالهِ ولا يستطيع ان يجيب بهِ لقصور علمهِ

ومنهم وسطاء يكتبون فتستولي الروح على يد احدهم وتكتب ما تشاء ان تكتبهُ بينما يكون الوسيط ملتفتاً الى يمينهِ او يسارهِ يحادث المراقبين لهُ . وقد شوهد وسطاء تستولي الروح على يد احدهم اليمنى وتكتب جواباً على سؤال وتستولي روح اخرى على يده اليسرى فتكتب جواباً على سؤال آخر وروح ثالثة على لسانهِ فتجيب على سؤالٍ ثالث كل ذلك في وقت واحد

ومنهم وسطاء تتجسد الارواح بحضرتهم فيراها المجربون ويلمسونها ويفحصون اعضاءها ويزنونها ويقيسون طولها ويسألونها فتكلمهم وتسل لهم من الطوارق ما لا يخطر ببالهم . وقد تظهر عدة ارواح في آن واحد ثلاثة او اربعة او اكثر منهم الذكر والانثى والشاب والشيخ فتجول بين الحاضرين وتلمسهم وتطلب اليهم ان يصوروها بآلة التصوير بينما يكون الوسيط متشنجاً ملقى على كرسيهِ ومراقباً من اثنين او ثلاثة من المجربين . فلو تخيل متخيل ان اعين المجربين قد انيمت نوماً مغناطيسياً فرأت ما ليس بموجود فهل انيمت آلة التصوير ايضاً فرسمت ما ليس بموجود ؟

هذه امور خارقة للعادة تحققت علمياً وتكررت تجاربها ملايين المرات في كل قطر العالم المتمدن منذ سبعين سنة وهي التي حولت الى المذهب الروحاني رؤوساً استعصت على كل مؤثر في الارض. وسنأتي على امثلة من هذه التجارب مع بيان التحوطات التي اتخذت لها في مثالنا التالية لهذه

(التحوطات التي تتخذ ضد الوسطاء)

لما شاعت اول حادثة لظهور الارواح في هيدسفيل وخاض فيها الناس من كل قبيل استنكرها رجال العلم كل الاستنكار وجزموا بانها خرافة روجها المدلسون لسلب اموال الناس واكتفوا بنفيها هي وامثالها مما شاع اذ ذاك على صفحات المجلات والجرائد ولم يتنزلوا لبحثها اعتقاداً منهم بانها لا تستحق النظر. فلما كثر خوض الناس فيها واخذ في الدفاع عنها بعض ذوي العقول الكبيرة من امثال المستر (ادمون) رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة باميركا وعدد من الكتاب والادباء خف بعض العلماء لبحثها لا لظنهم ان فيها حقيقة تستحق الاعتبار ولكن ليثبتوا للناس بالدليل المحسوس وجوه الاحابيل التي وقعوا فيها تحت تأثير الوسطاء الخادعين. فتولوها باسلوبهم العلمي الصارم وتحوطاتهم البالغة اقصى غايات الاحتراس. وناهيك بقوم ماديين لا يعتقدون بوجود شيء في الكون غير المادة وقوتها وقد مرنوا من محاولاتهم العلمية على عدم التسليم الا لشهادات الآلات والموازين. فآبوا بعد طول التجربة وتكرارها الى التسليم بصحتها وكتبوا في ذلك كتباً بسطوا فيها كل ما اتخذوه من التحوطات لاثباتها. فتولى النقدة العلميون مباحثهم بالنقد الصارم ولاحظوا على تحوطاتهم اموراً اعتبروها نقصاً وزعموا انهم لو كانوا تداركوها لظهر لهم التدليس ظهور الشمس. فكان من يليهم في البحث من العلماء يستدركون كل ما لوحظ على من سبقهم من النقص حتى بلغت بهم الوسوسة في ذلك الى حد ليس بعده مزيد. فكانوا يأتون بالوسيط الى جامعة من جامعاتهم او محل من معاملهم العلمية ويجردونه من ملابسه ويفتشونها ثم يدخلونه الى حجرة خالية من الاثاث الا كراسي وخواناً ويقفلون بابها ويختمونه بالشمع ويأخذون مفتاحها معهم ثم يجلسون الوسيط على كرسي ويربطونه عليه ربطاً قوياً بحيث يؤثر الرباط على معصميه وذراعيه وفخذيه حتى تستحيل عليه الحركة قيد انملة ثم يسمرون اطراف الاربطة على الارض ويختمون

العقد بالشمع ثم يضعونهُ هو وكرسيهُ في قفص من الحديد ويوصدون عليهِ بالاقفال ولا يكتفون بذلك بل يصلون بهِ سلكاً من آلة الجلفانومتر لتسجل عليهِ جميع حركاتهِ وسكناتهِ ثم لا يقنعون بكل هذا بل يوكلون بهِ اثنين منهم يراقبانهِ طول مدة التجربة . وكان الذي يحدو هؤلاء العلماء لركوب هذه الخطة الصارمة جزمهم المطلق باستحالة وجود خارق للعادة في الطبيعة وباستمرار الحوادث فيها على نواميسها المقررة وبان تلك الخوارق المزعومة هي من الشعوذة البالغة اقصى درجات التمويه والسبك. ولكن كانت تذهب كل تحوطاتهم سدى فيستمر ظهور تلك الخوارق على اتم ما يكون . فاضطروا امام هذه المشاهدات — وما يضطر امثالهم لامر هين — ان يعترفوا علناً بوجود عالم روحاني بعيد المدى يمكن ان تتصل بهِ بحضرة وسيط حاصل على خاصة الوساطة بيننا وبينهُ

وقد تكررت هذه التجارب مع كل هذه التحوطات في كل مدينة راقية على يد رجال يعتبرون في مقدمة اقطاب العلم العصري اتينا على ذكر بعضهم في مقالاتنا السابقة. وقد بلغ هذا المذهب من العمر اكثر من سبعين سنة وهو يزداد رسوخاً وتزداد مشاهداتهُ وضوحاً حتى اصبحت من الحقائق التي لا يصح الامتراء فيها . ولم تكن تجارب هؤلاء العلماء انفرادية بل تألفت لها في كل عواصم البلاد المتمدنة الجميات ومنها ما يعد عمرها الآن بعشرات السنين . من اكبرها شأناً جمعية المباحث النفسية التي تأسست في لندرة سنة ١٨٨٢ واتخذت لها اعضاء من اعلام العلم الرسمي في فرنسا وايطاليا واميركا وغيرها وهي لا تزال عاملة للآن فيكون عمرها سبعاً وثلاثين سنة وقد دونت من مباحثها وتجاربها في عدة عشرات من المجلدات الضخمة وتولى عضويتها ورئاستها اكبر علماء الارض ممن لا يصح اتهامهم بالقصور عن ادراك نقص الدليل ولا بالتقصير في اتخاذ اي ضرب من ضروب الاحتياط بل هم الذين علموا الناس اساليب البحث عن المجاهيل ووجوه الاحتراس للتجارب . ولا يعقل ان هؤلاء الاراكين في العلم والفلسفة يبقون طول هذه المدة مخدوعين لا يفرقون بين الشعوذة والظواهر النفسية على كثرة النقدة المحيطين بهم . بل هم انفسهم ائمة النقد وزعماء الشكوك

وقد استقدم هؤلاء العلماء اكبر الوسطاء الى دورهم من اقصى الارض وتكلفوا في ذلك الالوف المؤلفة من الجنيهات وصبروا على بحثهم السنين الطوال.

وقد الفت كتب في تاريخ بعض وسطائهم منها كتاب وضعهُ المسيو (ساج) عن الوسيطة الاميركية (مدام بيبر) دعاهُ باسمها ووضع عليهِ العلاَّمة الفلكي الاشهر (كاميل فلاماريون) مقدمة فنانة ونحن ننقل للقراء بعض ما جاء فيهِ من طبعتهِ الثالثة صفحة (٣١) :

متى عرض الانسان مشاهدات من هذا القبيل على القاريء فاول ما يتبادر الى ذهنهِ فرض التدليس . فيعتبر الوسيط خادعاً ويرى انهُ قد دبر حيلة بمهارة في طي الخفاء . فالامر في نظرهِ لا يعدو الاحتيال والتدليس . فلأجل متابعة هذه المباحث بفائدة يجب ابعاد هذا الفرض ولكن ليس ذلك بالامر السهل فان اكثر الناس جبلوا على ان يكبروا من فطنتهم الذاتية ويسيئوا الظن على وجه عام بفطنة سواهم . وتجد كلاًّ منهم يعتقد في نفسهِ بانهُ لو كان مع المجربين لكشف الغطاء عن التدليس باسرع ما يكون . وعليهِ فلأجل اقناع الناس يجب ان لا يهمل اي ضرب من ضروب الاحتياط والتحرز ويجب استخدام جميع الوسائل لذلك وهذا هو الذي قام بهِ مشاهدو مدام بيبر كما سيراه القراء »

ثم ذكر ما اتخذهُ المجربون عليها في اميركا من ضروب الاحتياط حتى عينوا عليها وعلى جميع اعضاء بيتها الجواسيس ثم قال :

« ولكن لاجل ابعاد فرض التدليس نهائياً رأى بعضهم ان يرفع مدام بيبر من البيئة التي هي فيها وينقلها الى مملكة لا تعرف فيها احداً . وهذا هو الذي حدث فعلاً . فان بعضاً من علية اعضاء جمعية المباحث النفسية دعوها الى انجلترة ليجربوا عليها هنالك فلبت دعوتهم ووصلت الى انجلترة في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٩ على الباخرة شيتا من بواخر شركة كونار . فحف لاستقبالها الاستاذ فريدريك ميرس الذي حزن لفقده حديثاً علم انسيكولوجيا واوصلها من ساعة قدومها الى بيتهِ في كمبردج ولكنهُ في اللحظة الاخيرة دعي الى ادمبورج فرجا صديقهُ الاستاذ اوليفر لودج (المدرس بجامعة كمبردج) ان ينوب عنهُ في اضافة مدام بيبر فاضافها الاستاذ لودج في بيتهِ هي وبنتيها الصغيرتين اللتين كانتا معها . وفي مساء ذلك اليوم نفسهِ عاد المستر ميرس وارجعها الى بيتهِ في اليوم التالي :

فابتدأت التجارب على ذلك في كمبردج . الى ان قال :

« الخلاصة ان في مدة الخمس عشرة سنة التي لبثتها التجارب مع مدام بيبر

اخذ المجربون بكل الآراء التي ابداها المعارضون المكذبون لاجل كشف التدليس وكان بعضهم من المتعنتين فلم يكتشف شيء من ذلك وذهبت جميع المجهودات سدى. فيجب اذن ان يبحث عن علة هذه الخوارق في غير التدليس.

(الفرق بين الشعوذة والوساطة)

كثيراً ما شبه البعيدون عن التجارب الروحية الوساطة بالشعوذة والفرق بينهما كما رأيت عظيم جداً. فالوسيط يعرى جسمهُ ويفتش ويربط ويوضع في قفص من الحديد ويوصل بجسمهِ سلك كهربائي لتسجيل اصغر حركاتهِ عليهِ ويوضع تحت مراقبة صارمة ويقع في صرع شديد يلحقهُ بالجادات. ولكن المشعوذ يكون مطلق اليدين والرجلين يذهب ويجيء بين المتفرجين لا يسأل عما اخفاهُ من الادوات والآلات بل يحضر معهُ على مرأى من الناس من العلب والاسلاك والاواني ما يعتمد عليهِ في خدع اعين الناس. ويبث في وسط الحاضرين من مساعديهِ من يحتاج اليهم في تمويه اعمالهِ. والمتفرجون يعرفون كل ذلك ويرون لهُ الحق فيهِ

ثم ان المشعوذ يُعرف عنهُ انهُ درس هذا الفن وتتلمذ فيهِ لاستاذ وتمرن عليهِ تحت اشرافهِ سنين. ولكن الوسيط قد يتفق ان يكون بعض العلماء المجربين انفسهم او بعض زوجاتهم او بناتهم ممن لم يدرسوا الشعوذة ولا تتجه اليهم ريبة. فكان للكاتب السياسي والاجتماعي الخطير (ستيد) الانجليزي واسطة لنفسهِ تستولي الروح على يدهِ فتكتب بينما يكون هو مشغولاً عنها بشيء آخر. وكذلك كان الاستاذ سنتون موزس المدرس بجامعة اكسفورد. وكان الوزير الروسي الخطير (اكزاكوف) يجرب على امرأتهِ. وكان المستر ادمون رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة يجرب على بنتيهِ. ولما اجتمعت لجنة الجمعية الملكية الانجليزية لفحص خوارق الاسبرتزم وكانت مكونة من ثلاثين عالماً كان واسطتهم واحداً منهم (راجع مقالتنا الاولى). فما اعظم الفرق بين الوسطاء والمشعوذين وما ابعد وجوه الشبه بينهما!

(تعليل الخوارق التي تظهر بحضرة الوسطاء)

لما ثبت للعلماء المجربين صحة هذه الخوارق ثبوتاً ليس معهُ تردد اخذوا في تعليلها بالعلل المعروفة غير مبالين بما يدعيهِ سواهم من نسبتها الى ارواح الموتى.

فافترضوا افتراضات كثيرة واطالوا الجدال فيها عشرات من السنين فلم يظهر ان واحداً منها يصلح لتعليل جميع مشاهدات الاسبرتزم غير فرض واحد وهو عزوها الى ارواح الموتى . وقد رضي هذا الفرض جمهور من العلماء الذين بحثوا هذا الموضوع الا عدداً منهم لا يزال يرجىء رأيهُ الاخير ومع هذا فهو لا يخفي عن الناس انهُ يرجح التعليل المذكور . اما نحن فسنأتي على مجموع هذه التعليلات ونبين وجوه عدم كفايتها في التعليل الا الفرض القائل بوجود عالم روحاني وراء هذا العالم باقلام العلماء المجربين انفسهم بعد ان نفرغ من الاتيان على بعض تلك التجارب وعلى ضروب التحوطات التي اتخذت لها ليكون القارىء على بينة من تفصيلات هذا الموضوع الخطير

محمد فريد وجدي

البول السكري

(اسبابهُ)

يقوم هذا الداء بضعف خاص في الجهاز الممثل للطعام . والتجارب التي قام بها العلماء المتبحرون ايدت الرأي السائد الآن وهو ان هذا الداء ناشيء عن خلل يطرأ على وظيفة البنكرياس فيضعفهُ عن تأدية العمل الموكل اليهِ . ومن كان فيهِ هذا العضو سليماً يستطيع ان يتناول مقداراً كبيراً من الطعام اضعاف ما يحتاج اليهِ جسمهُ وعملهُ ويقوى على هضمهِ وتمثيلهِ ولو كان معظم طعامهِ مؤلفاً من المواد النشوية . ومعدل ما يحتاج اليهِ البالغ العامل اعمالاً متوسطة من النشويات ويقدر جهازهُ على تمثيلهِ يتراوح بين ٣٩٠ غراماً و٤٠٠ غرام في اليوم . ولا يستطيع على تمثيل ثلث هذا المقدار في مجموع طعامهِ متى كان بنكرياسهُ مريضاً

واذا وجد ضعف في نظام الجهاز الممثل للاطعمة النشوية فسكر العنب يتكون في الدم ويتجمع فيهِ الى ان يبلغ حد الافاضة فيسيل منهُ الى الكليتين ويخرج من الجسد مع البول وينعت البول بحينئذٍ وليس كل بول وجد فيهِ سكر يصح ان يكون صاحبهُ مصاباً بهذا الداء فانهُ يتفق لباحث ان يجد في بول سكراً بينما تكون كمية السكر في دم صاحبهِ عادية او دون العادي . وتعليل وجود السكر في البول في مثل هذه الحالة ان الكليتين في حال ساعدت المادة السكرية على